الحب كلمة

أسامة يونس

لا أريد منك شيئًا سوى أن تجلسي معي حتى أطفئ الشمعة ، أنا لم أعتد أن أطفئها وحيدًا

***

obeikan.com

في عيد ميلاده الثامن عشر، كانت (نانا) تجلس إلى جواره في ذلك المكان الأنيق الرقيق الذي كانا يلتقيان فيه شاهدًا على هروبهما معًا من دروس الاقتصاد، كان اسمه الملتقى ، وكان حقًّا ملتقى اللحظات السعيدة ؛ فمعظم من يدخله يحفر قصة حب هناك أو يكتب سطورًا فيها ويمضي. قدمت له علبة ملفوفة وكلمات تهدي بها قلبها له.

كان يعرف كم تحبه (نانا) وكان لا يعرف هو أكان يحبها أم أنه يحب الحب في حد ذاته وهذا الإطار من الرومانسية الذي يلون كل شيء حوله بألوان الطيف السبعة ، كأنه بعصا سحرية يحوِّل الجماد إلى حياة - لم يكن مراهقًا ، كان يظن نفسه دائمًا أكبر من سنه بكثير - كان يشعر أنه امتلك قلبًا بألفي حجرة ، يسع الناس كلهم ، لكنه لم يكن يعرف له خريطة ومن يفترض به أن يجلس أين.

في عيد ميلاده التاسع عشر، كان يتناول قهوته منتظرًا (فدوى) التي أقبلت عليه بابتسامة تحمل الدنيا كلها في عينيها. طلبت منه أن يغلق عينيه ، كان يعرف أنها تريد أن تفاجئه ، لكنه لم يكن يريد أن يغلق عينيه عنها ، أغلق عينيه امتثالًا لأوامرها ، تركت أحمر شفتيها على خده وقالت له: (أحبك كما لم يحب بشر من قبل)، لم تكن كأي بنت في سنه.. هكذا رآها ، يعرف قيمتها.. هي دومًا تقول له: (أنت تنظر لي دومًا من طابق أقل أو من الطابق نفسه ، أما في بيتي فهم ينظرون لي من الطابق الأخير) ، لم يكن يفهم كثيرًا ما تعنيه ، لكنه كان يعرف كم تحبه وكم تعلق بها ، كانت صادقة وكان يتمنى أن يتزوجها ، بنى جسرًا من الأحلام ومدينة الخيال سكناها معًا.

في عيد ميلاده العشرين كان لا يزال هناك وكانت (فدوى) هي الأخرى مقدمة عليه تحمل الورود والقبلة التي لا ينساها ، لكن (رانيا) هدمت

عليه مدينة الخيال ، وهي تقول له: (لا أعرف كيف سأكمل حياتي من دونك يا حبيبي ، إننا وُلدنا لنكون معًا)، هو الآخر كان يشعر بالإحساس نفسه تجاه (رانيا) ، كونه لم يكن مدخنًا فهو يكره التدخين وخسر معظم أصدقائه المدخنين ، يشعر دائمًا أنهم أقل منه رجولة ، ويظنون هم أنه أضعف منهم شخصية ، إلا أنه لم يكن يمل قط من النظر لـ(رانيا) وهي تقبِّل السيجارة بثغرها العذب ، يدرك الآن أن (رانيا) هي حلم حياته ، لا يرى التدخين عيبًا فيها ؛ فهي الأنثى التي اكتملت أنوثتها ، بضعفها تكتسب قوتها ، بدلالها تكتسب تمكنها ، وبقلبها تسلب كيانه ، وبواقعها ترسم أحلامه.

في عيد ميلاده الحادي والعشرين كان كل شيء مرتبًا له ، المكان تحول إلى جنَّة ، الألعاب والزينة في كل مكان ، والحلوى جاهزة لاستقباله ، هكذا أعد له أصحابه احتفالًا هو الوحيد الذي لم يكن يعلم بأمره ، طرق الباب.. فتح له في سكون وظلام دامس ومد أحدهم يده من الداخل واجتذبه إلى الشقة ، ثم أضيئت الأنوار وكانت ليلة ساهرة ساحرة ، كانت تلك الشقة التي يجتمعون بها ليقضون أوقاتهم معًا ، شهدت على عامهم كاملًا ، أيامهم بإشراقها وظلالها ، وتقلبات الأحداث وطموحهم الذي تصادم كثيرًا بما حولهم ؛ فتارة يتملكهم اليأس وتارة يحاولون من جديد ، كان هو قد أدرك أن كل شيء ليس الحب وأن الحياة أعمق من أنثى تحبه ويحبها وأن الحب أيضًا ليس كل شيء ؛ فهو يحتاج لينضج وتنضج معه حافظة أمواله ، الأحلام يجب أن تسير في خط متوازٍ مع ما يملكه في الواقع من نفسه ومن ماله كي يقدمه لمن يستحقه ، كيف يحمل مشاعره الجميلة فقط؟ وكم تساوي أكثر من قصة حب فاشلة؟ لا تساوي شيئًا ، علَّمته التجارب أنه ليس في حاجة للاستعجال ، فالشيء المناسب

سيحدث في التوقيت المناسب والمكان المناسب مع الشخص الأنسب.
في عيد ميلاده الثاني والعشرين ، على الرغم من أنه كان قد تعهد لنفسه ألا يحب مجددًا قبل أن يستعد لذلك جيدًا ، تحطمت وعوده لنفسه على شاطئ (مريم) ، (مريم) لم تكن مجرد حبيبة عادية ، كانت هي مبتغاه وما يبحث عنه ، أعادته إلى الحياة بعد أن كاد يفقدها ، كانت (مريم) قبلة الحياة بالنسبة له.
(تفضل يا سيدي الحلوى التي طلبتها) ، هكذا أخذه صوت تلك العاملة في الملتقى من ذكرياته ، ويبدو أنها كانت موجودة من مدة ، لكنه لم يشعر بها - كان التفكير فيمن لم يتوقف بهم قطار الحياة عنده وفي قطار حياته الذي لم يتوقف به عند أحد هو ما يشغله - كان في الماضي لا يملك إلا قلبًا محبًا وزهرة عمر تتفتح لم يكونا كافيين لكي لا يعيش وحيدًا ، الآن وقد أصبح يمتلك أموالًا كثيرة وسيارة فخمة وأصبح رجل أعمال شهيراً يمتلك خلية نحل تعمل لديه ، لكن ذلك أيضًا لم يكن كافيًا ليكسر دائرة الوحدة ، يمتلك أموالًا كثيرة ، وامتلك معها حطام قلب اصطبغ ببياض شعره وأصبح إنسانًا آليًا يتحرك في عالم اصطناعي ضخم.
(يا سيدي، الحلوى التي طلبتها ، وهذه هدية أخرى يقدمها المحل بمناسبة عيد ميلادك) ، أفاق مرة أخرى على هذا الصوت الحنون. فقال لها: (هل من الممكن أن تجلسي معي حتى أطفئ الشمعة؟).. لقد اعتادت على مثل هذه الأمور والمضايقات في عملها فرفضت بانزعاج داخلي لم يعد يظهر في ملامحها.. ثم تابع: (لكني لا أريد منك شيئًا سوى أن تجلسي معي حتى أطفئ الشمعة ، أنا لم أعتد أن أطفئها وحيدًا ، لا تخافي مني فأنا حطام إنسان وأنا لا أراك أنثى ، بل أنت شبح أنثى يجلس معي ، فقط اجلسي إلى المنضدة). رأى تلك النظرة الحانية في عينيها ،

تذكره ملامح وجهها الطفولي بشيء يبحث عنه يفتقده ولا يعرف ما هو ، فظن أنها ستجلس أخيراً ، لكنها فاجأته بأن انصرفت.

أشعل شمعة واحدة على الرغم من أنه في الخامسة والثلاثين من عمره ، لكنها كانت كافية لتعبر عنه ، وفجأة انقطع التيار عن المحل وعاد بعد برهة فوجئ خلالها بكل عمال الملتقى يحيطون به وتجلس إلى أمامه العاملة الحانية ، لتهمس له في أذنيه : (إنك تستحق أكثر من شبح أنثى ليشاركك لحظاتك الجميلة إن بدت كذلك) ، ابتسم وهو يتأمل عينيها اللتين وجد فيهما ضالته ومستقره، أطفأ الشمعة وانصرف وترك الحلوى وقصاصة ورق كانت في يده كتب عليها : عشت وحيدًا وهكذا أخاف أن أموت وحيدًا.

obeikan.com